هذا كتاب مفتاح الفلاح ومصباح
الارواح لتاج الدين بن عطاء
الله السكندرى تغمده الله
برحمته وأسكنه فسيح
جنته آمين

﴿ الطبعة الأولى ﴾

﴿ على نفقة الشيخ مصطفى سيد أحمد تاج ﴾
(وولده ابراهيم تاج الكتبي بطنطا)

﴿ طبع بمطبعة السعادة بجوار محافظة مصر ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

صلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما * الحمد لله فاتح أقفال القلوب بذكره * وكاشف أستار العيوب ببره * ومطهر السرائر لابداع سره * ومظهر العجائب من عالم أمره * ورافع أعلام الزيادة للقائم بشكره * أحمده على ان جعلني من أهل توحيده * وأشكره طالبا لفضله ومزيده * وأصلي على سيدنا محمد أشرف عبيده * وعلى آله وأصحابه الحائزين لطويل الفضل ومديده * ﴿ وبعد ﴾ فان ذكر الله تعالى مفتاح الفلاح * ومصباح الارواح * بفضل الله الكريم الفتاح * وهو العمدة في الطريق * ومعوّل أهل التحقيق * ولم أر من صنف فيه كتابا كاملا كافيا * ولا مجموعا شاملا شافيا * دعاني ذلك مع اشارة أخ صالح * محب للنصائح * الى أن شرعت في كتاب جمعت فيه منه ماتيسر * وعرّفت منه ماتنكر * أرحت به الطالب من المتاعب * ومنحت به الراغب في المواهب * راجيا من الله تعالى في ذلك الثواب * ودعاء طالب ظفر بمطلوبه من الطلاب

ياسائرا نحو بلاد الحمى * لاتنسني عند محط الرحال

وعلى الله تعالى أعتمد * وبه أعتضد * ولاحول ولاقوة الا بالله العلي العظيم (ورتبته) على قسمين (القسم الاول) على مقدمة وفصول وأبواب وأصول

﴿ المقدمة ﴾ فى ماهية الذكر و بيانه الذكر هو التخلص من الغفلة والنسيان بدوام حضور القلب مع الحق * وقيل ترديد اسم المذكور بالقلب واللسان * وسواء فى ذلك ذكر الله أوصفة من صفاته * أوحكم من أحكامه * أوفعل من أفعاله * أواستدلال على شئ من ذلك * أودعاء أوذكر رسله أوأنبيائه أوأوليائه * أومن انتسب اليه أوتقرب اليه بوجه من الوجوه * أوسبب من الاسباب أوفعل من الافعال * بنحو قراءة أوذكر * أوشعر أوغناء أومحاضرة * أوحكاية * فالمتكلم ذاكر * والمتفقه ذاكر * والمدرس ذاكر * والمفتى ذاكر والواعظ ذاكر * والمتفكر فى عظمة الله تعالى وجلاله وجبروته وآياته فى أرضه وسمواته ذاكر * والممتثل ما أمر الله به والمنتهى عن مانهى عنه ذاكر * والذاكر قد يكون اللسان وقد يكون بالجنان وقد يكون بأعضاء الانسان * وقد يكون بالاعلان والاجهار والجامع لذلك كله ذاكر كامل * فذكر اللسان هو ذكر الحروف بلاحضور وهو الذكر الظاهر * وله فضل عظيم شهدت به الآيات والاخبار والآثار فمنه المقيد بالزمان أو بالمكان * ومنه المطلق فالمقيد كالذكر فى الصلاة وعقبها والحج وقبل النوم و بعد اليقظة وقبل الاكل وعند ركوب الدابة وطرفى النهار وغير ذلك والمطلق مالا يتقيد بزمان ولامكان ولاوقت ولا حال فمنه ماهو ثناء على الله كما فى كل واحدة من هذه الكلمات وهى سبحان الله والحمد لله ولااله الاالله والله أكبر ولاحول ولاقوة الابالله العلى العظيم ومنه ماهو ذكر فيه دعاء مثل ربنا لاتؤاخذنا ان نسينا أوأخطأنا الآية أومناجاة وكذلك اللهم صل على سيدنا محمد وهو أشد تأثيرا فى قلب المبتدئ من الذكر الذى لايتضمن المناجاة لان المناجى يشعر قلبه بقرب من يناجيه وهو مما يؤثر فى قلبه و يلبسه الخشية ومنه ماهو ذكر فيه رعاية أوطلب دنيوى أوأخروى فالرعاية مثل قولك الله معى الله ناظر الىّ الله يرانى فانه فيه رعاية لمصلحة القلب فانه ذكر يستعمل لتقوية الحضور مع الله تعالى وحفظ الادب معه والتحرز من

الغفلة والاعتصام من الشيطان الرجيم وحضور القلب مع العبادات

﴿ فصل ﴾ ومامن ذكر الاوله نتيجة تخصه فأى ذكر اشتغلت به أعطاك مافى فوقه والذكر مع الاستعداد هو الداعى الى الفتح ولكن بماينا سب الذاكر قال الامام الغزالى الذكر حقيقة نمو استيلاء المذكور على القلب وانمحاء الذكر وخفاؤه قال لكن له ثلاث قشور بعضها أقرب الى اللب من البعض واللب وراء القشور الثلاث وانما فضل القشور لكونها طريقا اليه فالقشر الاعلى ذكر اللسان فقط ولا يزال الذاكر يوالى الذكر بلسانه ويتكلف احضار القلب معه اذ القلب يحتاج الى موافقته حتى يحضر مع الذكر ولو ترك وطبعه لاسترسل فى أودية الافكار الى أن يشاركك القلب اللسان و يحرق نور القلب الشهوات والشياطين و يستولى ذكره فيضعف ذكر اللسان عند ذلك وتمتلئ الجوارح والجوانح بالانوار و يتطهر القلب من الاغيار و ينقطع الوسواس ولا يسكن بساحته الخناس و يصير محلا للواردات ومرآة صقيلة للتجليات والمعارف الالهيات واذا سرى الذكر الى القلب وانتشر فى الجوارح فذكر الله كل عضو بحسب حاله قال الجريرى كان من أصحابنا رجل يكثر أن يقول الله الله فوقع يوما على رأسه جذع فشج رأسه وسقط الدم فاكتتب على الارض الله الله

﴿ فصل ﴾ الذكر نار لا تبقى ولا تذر فاذا دخل بيتا يقول أنا لاغيرى وهو من معانى لا اله الا الله فان وجد فيه حطبا أحرقه فصار نارا وان كان فيه ظلمة كان نورا فنوّره وان كان فيه نور صار نورا على نور والذكر مذهب من الجسد الاجزاء الزائدة الحاصلة من الاسراف فى الاكل ومن تناول اللقم الحرام وأما الحاصلة من الحلال فلا يدله عليها فاذا احترقت الاجزاء الخبيثة و بقيت الاجزاء الطيبة سمعت من كل جزء ذكرا كأنه ينفخ فى البوق وأوّل ما يقع الذكر فى دائرة الرأس فتجد فيه صوت البوق والكوس والذكر سلطان اذا نزل موضعا نزل ببوقاته وكوساته لان الذكر ضد ماسوى الحق فاذا وقع فى موضع اشتغل بنفى

الضد كما تجده من اجتماع الماء والنار وبعد هذه الاصوات تسمع أصواتا مختلفة مثل خرير الماء ودوى الريح وصوت النار اذا تأججت وصوت الأرحية وخبط الخيل وصوت أوراق الاشجار اذا هبت عليها الريح وذلك ان الآدمى مركب من كل جوهر شريف ووضيع من التراب والماء والنار والهواء والارض والسماء وما بينهما فهذه الاصوات اذ كان كل أصل وعنصر من هذه الجواهر ومن سمع منه شئ من هذه الاصوات فقد سبح الله وقدسه بكل لسان وذلك نتيجة ذكر اللسان بقوة الاستغراق وربما صار العبد الى حالة اذا سكت عن الذكر تحرك القلب فى الصدر حركة الولد فى بطن أمه يطلب الذكر قالوا فان القلب مثل عيسى ابن مريم عليه السلام والذكر لبنه واذا كبر وقوى صعد منه حنين الى الحق وصوت وصعقات ضرورية شوقا الى الذكر والمذكور وذكر القلب شبه رنة النحل لاصوت رفيع مشوش ولا خفى شديد الخفاء واذا استمكن المذكور من القلب وانمحى الذكر وخفى فلا يلتفت الذاكر الى الذكر ولا الى القلب فان ظهر له فى أثناء ذلك التفات الى الذكر أو الى القلب فذلك حجاب شاغل وذلك هو الفناء وهو أن يفنى الانسان عن نفسه فلا يحس بشئ من ظواهر جوارحه ولا الاشياء الخارجة عنه ولا العوارض الباطنة فيه بل يغيب عن جميع ذلك ويغيب عنه جميع ذلك ذاهبا الى ربه أولا ثم ذاهبا فيه أخرى فان خطر له فى أثناء ذلك انه فنى عن نفسه بالكلية فذلك شوب وكدورة والكمال أن يفنى عن نفسه وعن الفناء والفناء عن الفناء غاية الفناء والفناء أول الطريق وهو الذهاب الى الله تعالى وانما الهدى بعد وأعنى بالهدى هدى الله كما قال عليه السلام انى ذاهب الى ربى سيهدين وهذا الاستغراق قد يثبت ويدوم فان دام فصار عادة راسخة وهيئة ثابتة عرج به الى العالم الأعلى وطالع الوجود الحقيقى الأصفى وانطبع له نقش الملكوت وتجلى له قدس اللاهوت وأول ما يتمثل له من ذلك العالم جواهر الملائكة وأرواح الانبياء والاولياء فى صورة جميلة تفاض عليه بواسطتها بعض

الحقائق وذلك فى البداية الى أن تعلو درجته عن المثال و يكاشح بتصريح الحق فى كل شئ فهذه ثمرة لباب الذكر وانما بدأ هاذكر اللسان ثم ذكر القلب تكلفا ثم ذكره طبعا ثم استيلاء المذكور وانمحاء الذكر وهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم من أحب أن يرتع فى رياض الجنة فليكثر ذكر الله بل سر قوله صلى الله عليه وسلم يفضل الذكر الخفى على الذكر الذى تسمعه الحفظة سبعين ضعفا وعلامة وقوع الذكر الى السر غيبة الذاكر عن الذكر والمذكور فذكر السر الهيمان والغرق فيه ومن علاماته أنك اذا تركت الذكر لم يتركك وذلك طيران الذكر فيك لينهك عن الغيبة الى الحضور ومن علاماته شد الذكر رأسك وأعضاءك جميعها فتكون كالمشدود بالسلاسل والقيود ومن علاماته انه لا تخمد نيرانه ولا تذهب أنواره بل ترى أبدا أنوارا صاعدة وأخرى نازلة والنيران حواليك صافية تتأجج وتتقد واذا وقع الذكر الى السر يكون الذكر عند سكوت الذاكر كأنه غرز الابر فى لسانه أو أن وجهه كله لسان يذكر بنور فائض عنه (دقيقة) اعلم أن كل ذكر يشعر به قلبك تسمعه الحفظة فان شعورهم يقارن شعورك وفيه سر حتى اذا غاب ذكرك عن شعورك بذهابك فى المذكور حتى بالكلية يغيب ذكرك عن شعور الحفظة (تنبيه) ذكر الحروف بلا حضور ذكر اللسان وذكر الحضور فى القلب ذكر القلب وذكر الغيبة عن الحضور فى المذكور ذكر السر وهو الذكر الخفى

﴿ فصل ﴾ ورزق الظاهر بحركات الاجسام ورزق الباطن بحركات القلوب ورزق الاسرار بالسكون ورزق العقول بالفناء عن السكون حتى يكون العبد ساكنا لله مع الله وليس فى الأغذية قوت للارواح وانما هى غذاء الاشباح وقوت الارواح والقلوب ذكر الله علام الغيوب قال الله تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب فاذا ذكرت الله تعالى ذكر معك كل من يسمعك لانك تذكر بلسانك ثم بقلبك ثم بنفسك ثم

روحك ثم بعقلك ثم بسرك ذلك فى الذكر الواحد فاذا ذكرت الله تعالى بلسانك ذكر معه ذكر لسانك الجمادات كلها واذا ذكرت بقلبك ذكر مع قلبك الكون ومن فيه من عوالم الله واذا ذكرت بنفسك ذكر معك السموات ومن فيها واذا ذكرت بروحك ذكر معك الكرسى ومن فيه من عوالمه واذا ذكرت بعقلك ذكر معك حملة العرش ومن طاف به من الملائكة الكروبيين والارواح المقربين واذا ذكرت بسرك ذكر معك العرش بجميع عوالمه الى أن يتصل الذكر بالذات (تتمة) النفس هو الجوهر البخارى اللطيف الحامل لقوة الحياة والحس والحركة الارادية وسماها الحكيم الروح الحيوانية وهى الواسطة بين القلب الذى هو النفس الناطقة وبين البدن قيل وهى المشار اليها فى القرآن العزيز بالشجرة الزيتونة الموصوفة بكونها مباركة لا شرقية ولا غربية لازدياد رتبة الانسان وتزكيته بها ولكونها ليست من شرق عالم الارواح المجردة ولا من غرب الاجساد الكثيفة وهى أمارة ولوامة ومطمئنة فالنفس الامارة بالسوء هى التى تميل الى الطبيعة البدنية وتأمر باللذات والشهوات الحسية وتجذب القلب الى الجهة السفلية وهى مأوى الشر ومنبع الاخلاق الذميمة والافعال السيئة وهى نفس العامة وهى مظلمة والذكر لها كالسراج الموقد فى البيت المظلم والنفس اللوامة وهى التى تنورت بنور القلب تنورا ما قدر ما تنبهت به عن سنة الغفلة فتيقظت وبدأت باصلاح حالها مترددة بين جهتى الربوبية والخلقية وكلما صدر منها سيئة بحكم جبلتها الظلمانية وسجيتها تداركها نور التنبيه الالهى فأخذت تلوم نفسها وتتوب عنها مستغفرة راجعة الى باب الغفار الرحيم فلهذا نوره الله بذكرها بالاقسام بها فى قوله تعالى لا أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة وكأنها تبصر كأنها فى بيت ملآن من كل مذموم كنجاسة وكلب وخنزير وفهد ونمر وفيل فتجتهد فى اخراجها من بعد أن تلطخت بأنواع النجاسات وتجرحت من أنواع السباع فتلازم الذكر والانابة حتى يظهر

سلطان الذكر عليهم فيخرجهم ثم يقرب من الظمأنينة فلا تزال تجتهد فى جمع أثاث البيت حتى يتزين البيت بأنواع المحمودات فيتجلى بها ويصلح البيت لنزول السلطان فيه فاذا نزل فيه السلطان وتجلى الحق عادت مطمئنة وهى التى تم تنورها بنور القلب حتى انخلعت عن صفاتها الذميمة وتخلقت بالاخلاق الحميدة وتوجهت الى جهة القلب بالكلية متابعة له فى الترقى الى جنات عالم القدس منزهة عن جانب الرجس مواظبة على الطاعات ساكنة الى حضرة رفيع الدرجات حتى خاطبها ربها بقوله يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى (الاصل الأول) فى دليله من الكتاب قال تعالى يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا وقال تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم الآية وقال تعالى والذاكرين الله كثيرا والذاكرات أعد الله لهم مغفرة وأجرا عظيما وقال تعالى فاذكرونى أذكركم وقال تعالى الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب وقال تعالى واذكر ربك كثيرا وسبح بحمد ربك بالعشى والابكار وقال تعالى واذكر اسم ربك بكرة وأصيلا (الاصل الثانى) فى دليله من السنة

(فصل) فيما ورد فى فضل الذكر والاجتماع عليه عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه قال خرج معاوية على حلقة فى المسجد فقال ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله تعالى قال الله ما أجلسكم الا ذلك قالوا الله ما أجلسنا غيره قال أما انى لم استحلفكم تهمة لكم وما كان أحد بمنزلتى من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا أقل حديثا منى وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج على حلقة من أصحابه فقال ما أجلسكم قالوا جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للاسلام ومن علينا قال الله ما أجلسكم الا ذلك قالوا الله ما أجلسنا الا ذلك قال أما انى لم أستحلفكم تهمة لكم ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى ان الله تعالى يباهى بكم الملائكة أخرجه مسلم والترمذى وأخرج

النسائى المسند منه فقط وزاد رزين قال ثم حدثنا فقال ما اجتمع قوم فى بيت من بيوت الله تعالى يتلون كتاب الله ويدارسونه بينهم ويذكرون الله الا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده * عن أبى مسلم الاغر قال أشهد على أبى هريرة وأبى سعيد انهما شهدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال لا يقعد قوم يذكرون الله الا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده أخرجه مسلم والترمذى والسكينة من السكون والطمأنينة قال القاضى عياض فى قوله صلى الله عليه وسلم تلك السكينة نزلت لقراءة القرآن هى الرحمة وقيل الطمأنينة وقيل الوقار وما يسكن به الانسان مخففة الكاف هذا هو المعروف وحكى عن بعض اللغويين فيها التشديد وذكر عن الفراء والكسائى وقد يحتمل ان التى تنزلت لقراءة القرآن السكينة التى ذكر الله بقوله وسكينة من ربكم وقد قيل انها سر كالريح وقيل خلق له وجه كوجه الانسان وقيل روح من الله يكلمهم ويهديهم اذا اختلفوا عن شئ وقيل فيه غير هذا وما ذكرنا ما يحتمل أن ينزل مثل هذا على من قرأ القرآن أو يجمع للذكر لانها من جملة الروح والملائكة والله أعلم * عن أبى هريرة رضى الله عنه قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسير فى طريق مكة على جبل يقال له جمدان فقال سيروا هذا جمدان سبق المفردون قالوا وما المفردون يارسول الله قال الذاكرون الله كثيرا هذه رواية مسلم وفى رواية الترمذى قالوا يارسول الله وما المفردون قال المستهترون بذكر الله يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافا * المفردون بفتح الفاء وكسر الراء المشددة وقيل باسكان الفاء وكسر الراء يقال فرد الرجل فى رأيه وفرد بالتخفيف والتشديد وأفرد واستفرد كله بمعنى أى استقل وتخلى بتدبيره والمراد به الذين تفردوا بذكر الله وقيل هم الذين هلك أترابهم من الناس وذهب القرن الذين كانوا فيه وبقوا بعدهم فهم يذكرون الله والمستهتر بالشئ المولع به المواظب عليه عن حب

ورغبة فيه وقال القاضي عياض في المشارق قال ابن الاعرابي يقال فرد الرجل بتشديد الراء اذا تفقه واعتزل الناس وخلا بنفسه وحده مراعيا للامر والنهي قال الازهري هم الذين تخلوا بذكر الله لا يخلطون به غيره وقيل معنى اهتروا أصابهم خبال وقيل المفردون الموحدون الذين لا يذكرون الا الله أخلصوا لله عبادتهم ويقال معناه مثل قولهم فني فلان في طاعة الله أي لم يزل مداوما لها حتى فني بالهرم وذهاب القوة وقيل معنى اهتروا أولعوا عن أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة يطوفون في الطرق يلتمسون أهل الذكر فاذا وجدوا قوما يذكرون الله تنادوا هلموا الى حاجتكم فيحفونهم بأجنحتهم الى السماء الدنيا قال فيسألهم ربهم وهو أعلم بهم ما يقول عبادي قالوا يقولون يسبحونك ويكبرونك ويحمدونك ويمجدونك قال فيقول هل رأوني قال فيقولون لا والله ما رأوك قال فيقول كيف لو رأوني قال يقولون لو رأوك كانوا أشد لك عبادة وأشد لك تمجيدا وأكثر لك تسبيحا قال فيقول فما يسألون قال يقولون يسألونك الجنة قال فيقول وهل رأوها قال فيقولون لا والله ما رأوها يا رب قال يقول فكيف لو رأوها قال يقولون لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا وأشد لها طلبا وأعظم فيها رغبة قال فمم يتعوذون قال يتعوذون من النار قال فيقول وهل رأوها قال يقولون لو رأوها كانوا أشد منها فرارا وأشد لها مخافة قال فيقول أشهدكم اني قد غفرت لهم قال يقول ملك من الملائكة فيهم فلان ليس منهم انما جاء لحاجة قال هم الجلساء لا يشقى جليسهم هذه رواية البخاري وعن أنس رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة قال حلق الذكر أخرجه الترمذي وعن الامام أحمد روى عن ابن مسعود قال ان الشيطان طاف بأهل مجلس ذكر فلم يستطع أن يفرق بينهم فأتى حلقة يذكرون الدنيا فأغوى بينهم حتى اقتتلوا فقام أهل الذكر فحجزوا بينهم فتفرقوا

﴿ فصل ﴾ فى فضل الذاكر على غيره عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ماقال عبد لا اله الا الله مخلصا من قلبه الا فتحت له أبواب السماء حتى يفضى الى العرش ما اجتنبت الكبائر أخرجه الترمذى قال مالك بلغنى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول ذاكر الله فى الغافلين كالمقاتل خلف الفارين وذاكر الله فى الغافلين كغصن أخضر فى شجر يابس وفى رواية مثل الشجرة الخضراء فى وسط الشجر وذاكر الله فى الغافلين مثل مصباح فى بيت مظلم وذاكر الله فى الغافلين يريه الله مقعده فى الجنة وهو حى وذاكر الله فى الغافلين يغفر له بعدد كل فصيح وأعجم والفصيح بنو آدم والاعجم البهائم أخرجه كذا وعن معاذ بن جبل ما عمل العبد عملا أنجى له من عذاب الله من ذكر الله أخرجه فى الموطأ عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل أى العباد أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة قال الذاكرون الله كثيرا قيل يارسول الله ومن الغازى فى سبيل الله قال لو ضرب بسيفه حتى ينكسر ويتخضب دما فان ذاكر الله أفضل منه درجة أخرجه الترمذى وفى رواية ذكر هارزين قال سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم أى العبادة أفضل وأرفع درجة عند الله يوم القيامة قال ذكر الله تعالى عن أبى موسى رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم قال مثل البيت الذى يذكر الله فيه والبيت الذى لا يذكر فيه الله كمثل الحى والميت كذا عند مسلم وعند البخارى مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر مثل الحى والميت عن أبى هريرة رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه فان ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وان ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منهم وان تقرب الى شبرا تقربت اليه ذراعا وان تقرب ذراعا تقربت اليه باعا وان أتانى يمشى أتيته هرولة أخرجه البخارى ومسلم والترمذى عن أبى أمامة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من آوى الى فراشه طاهرا يذكر الله حتى

يدركه النعاس لم ينقلب من ليل يسأل الله من خير ى الدنيا والآخرة الا أعطاه الله اياه أخرجه الترمذى وعن عمر رضى الله عنه ان النبى صلى الله عليه وسلم بعث بعثا قبل نجد فغنموا غنائم كثيرة وأسرعوا الرجعة فقال رجل ممن لم يخرج ما رأينا بعثا أسرع رجعة ولا أفضل غنيمة من هذا البعث فقال النبى صلى الله عليه وسلم ألا أدلكم على قوم أفضل غنيمة وأسرع رجعة قوم شهدوا صلاة الصبح ثم جلسوا يذكرون الله تعالى حتى طلعت الشمس فأولئك أسرع رجعة وأفضل غنيمة أخرجه الترمذى

﴿ فصل ﴾ عن عبد الله بن بشر أن رجلا قال يا رسول الله ان أبواب الخير كثيرة ولا أستطيع القيام بكلها فأخبرنى بشئ أتشبث به ولا تكثر على فأنسى وفى رواية ان شرائع الاسلام قد كثرت وأنا قد كبرت فأخبرنى بشئ أتشبث به ولا تكثر على فأنسى قال لا يزال لسانك رطبا بذكر الله أخرجه الترمذى عن عائشة رضى الله عنها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكر الله على كل أحيانه أخرجه مسلم وأبو داود والترمذى

﴿ باب الجهر بالذكر ﴾

عن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دخل السوق فقال لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيى ويميت وهو حى لا يموت أبدا بيده الخير وهو على كل شئ قدير كتب الله له ألف ألف حسنة ومحى عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة وفى رواية عوص الثالثة وبنى له بيتا فى الجنة أخرجه الترمذى وفى رواية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من دخل السوق فنادى بأعلى صوته وذكر الحديث الى قوله قدير ثم قال كتب له ألف حسنة وفى البخارى عن أبى سعيد مولى ابن عباس أن ابن عباس أخبره ان رفع الصوت بالذكر حين ينصرف الناس من المكتوبة كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ابن عباس كنت أعلم اذا انصرفوا بذلك وقال عليه السلام

من ذكرني في ملا ذكرته في ملأ خير منهم و يروى أن الصديق رضي الله عنه كان يخافت في صلاته بالليل ولا يرفع صوته بالقراءة وكان عمر يجهر في صلاته فسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر على فعله فقال من أناجيه يسمع كلامي وسأل عمر فقال أوقظ الوسنان وأطرد الشيطان وأرضي الرحمن فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أبا بكر أن يرفع صوته قليلا وأمر عمر أن يخفضه قليلا ألا ترى أنه صلى الله عليه وسلم أمر أبا بكر برفع الصوت وهو الجهر ولم يأمر عمر بالاسرار بل يخفض الصوت وذلك ليس بالاسرار واذا كان هذا في القرآن وهو أفضل الذكر فغيره كذلك بل أولى و ينبغي للذاكر اذا كان وحده ان كان من الخاصة أن يخفض صوته بالذكر وان كان من العامة أن يجهر به وان كان الذاكرون جماعة فالاولى في حقهم رفع الصوت بالذكر مع توافق الاصوات بطريقة واحدة موزونة قال بعضهم مثل ذكر الواحد وحده وذكر الجماعة مثل مؤذن واحد ومؤذنين جماعة فكما أن أصوات المؤذنين جماعة يقطع جرم الهواء الكثير مما يقطعه صوت واحد كذلك ذكر جماعة على قلب واحد أكثر تأثيرا وأشد قوة في رفع الحجب عن القلب من ذكر واحد وحده وأيضا يحصل لكل واحد ثواب ذكر نفسه وثواب سماع الذكر من غيره وشبه الله القلوب القاسية بالحجارة في قوله تعالى ثم قست قلوبكم من بعد ذلك فهي كالحجارة أو أشد قسوة والحجارة لا تنكسر الا بقوة فكذلك قساوة القلب لا تزول الا بالذكر القوي

﴿ فصل ﴾ في التحذير من ترك الذكر قال الله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وانهم ليصدونهم عن السبيل و يحسبون أنهم مهتدون عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قعد مقعدا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة ومن اضطجع مضجعا لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترة هذه رواية أبي داود وفي رواية الترمذي قال ما جلس قوم مجلسا لم يذكروا الله فيه ولم يصلوا على نبيهم الا كان عليهم ترة

فان شاء عذبهم وان شاء غفر لهم الترة فى اللغة الباطل من الشئ فى مجمل اللغة أى حسرة وندامة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه الا قاموا على أنتن من جيفة حمار وكان عليهم حسرة أخرجه أبو داود وأصل الترة النقص ومعناها هنا التبعة يقال وترت الرجل ترة على وزن وعدته عدة وعن معاذ بن جبل قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ليس يتحسر أهل الجنة الا على ساعة مرت بهم لم يذكروا الله فيها خرجه ابن السنى و يروى أن كل نفس تخرج من الدنيا عطشانة الا الذاكر الله تعالى وقال سهل ما أعلم معصية أقبح من ترك ذكر هذا الرب قال النورى لكل شئ عقوبة وعقوبة العارف انقطاعه عن الذكر

﴿ فصل ﴾ فيه من آثار السلف رضى الله عنهم قال أنس بن مالك ذكر الله علامة على الايمان و براءة من النفاق وحصن من الشيطان وحرز من النار وقال مالك بن دينار ومن لم يأنس بحديث الله تعالى عن حديث الخلق فقد قل علمه وعمى قلبه وضاع عمره وقال الحسن تفقدوا الحلاوة فى ثلاثة أشياء فى الصلاة والذكر وقراءة القرآن فان وجدتم ذلك والا فاعلموا أن الباب مغلق لان كل قلب لا يعرف الله لا يأنس بذكر الله ولا يسكن اليه قال الله تعالى واذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة واذا ذكر الذين من دونه اذا هم يستبشرون وقال بعض العارفين رزق الظاهر بحركات الاجسام ورزق الباطن بحركات القلوب ورزق الاسرار بالسكون ورزق العقول بالفناء عن السكون حتى يكون العبد ساكنا لله بالله مع الله وقيل من قام لله بحقيقة الذكر والحمد والشكر سخر له الاكوان والعالم جميعه وقال مطرف بن أبى بكر المحب لا يسأم من حديث حبيبه وقيل من لم يجد وحشة الغفلة لم يجد طعم أنس الذكر وقال عطاء الصاعقة لا تنزل على ذاكر الله تعالى قال حامد الاسود كنت مع ابراهيم الخواص فى سفر فجئنا الى موضع فيه حيات كثيرة فوضع ركوته

وجلس وجلست فلما برد الليل و برد الهواء خرجت الحيات فصحت بالشيخ فقال اذكر الله فذكرت فرجعت الحيات ثم عادت فصحت به فقال مثل ذلك فلم أزل الى الصباح فى مثل ذلك الحالة فلما أصبحنا قام ومشى ومشيت معه فسقطت من وطائه حية عظيمة قد تطوقته قلت ما أحسست بها فقال الامنذ زمان ما رأيت ليلة أطيب من البارحة وقيل ذكر الله بالقلب سيف المريدين به يقاتلون أعداءهم و به يدفعون الآفات التى تقصدهم وان البلاء اذا أظل العبد فاذا فزع بقلبه الى الله تحول عنه فى الحال كل ما يكرهه وقيل اذا تمكن الذكر من القلب فان دنا منه الشيطان صرع كما يصرع الانسان فتجتمع عليه الشياطين فيقولون ما لهذا فيقولون قد مسه الانس وقيل ان الملك يستأمر الذاكر فى قبض روحه وفى الانجيل اذكرنى حين تغضب أذكرك حين أغضب وارض بنصرتى لك فان نصرتى لك خير من نصرتك لنفسك وقال ذو النون المصرى من ذكر الله ذكرا على الحقيقة تيسر فى جنب ذكره كل شئ وحفظ الله عليه كل شئ وكان له عوضا عن كل شئ (الاصل الثالث) الاخلاص اعلم أن كل شئ يتصور أن يشوبه شئ فاذا صفى عن شوبه سمى خالصا و يسمى الفعل المصفى اخلاصا وكل من أتى بفعل اختيارى خالصا فلا بد له فى ذلك الفعل من غرض فمتى كان فى الفعل واحد اسمى ذلك الفعل اخلاصا الا أن العادة جرت بتخصيص الاخلاص بتجريد قصد التقرب الى الله تعالى عن جميع الشوائب كما أن الالحاد هو الميل وخصصه العرف بالميل عن الحق اذا علمت ذلك فنقول الباعث على الفعل اما روحانى فقط وهو الاخلاص أو شيطانى فقط وهو الرياء أو مركب منهم والمركب اما أن يتساوا فيه الطرفان أو يكون الروحانى أقوى أو النفسانى أقوى * القسم الاول أن يكون الباعث روحانيا فقط ولا يتصور الا من محب لله تعالى مستغرق الهم به بحيث لم يبق لحب الدنيا فى قلبه مقر فحينئذ تكشف جميع أفعاله وحركاته هذه الصفة فلا يقضى حاجته ولا ينام ولا يحب الاكل والشرب مثلا الا لكونه

ازالة ضرورة أو تقوية على الطاعة فمثل هذا لو أكل أو شرب أو قضى حاجته فهذا خالص العمل في جميع حركاته وسكناته * القسم الثاني أن يكون الباعث نفسانيا ولا يتصور الا من محب للنفس والدنيا مستغرق الهم بها بحيث لم يبق لحب الله تعالى في نفسه مقر فما كتسبت جميع أفعاله هذه الصفة فلا يسلم له شئ من عباداته وأما الاقسام الثلاثة الباقية فالذي يستوي فيه الباعثان قال الامام فخر الدين الرازي الاظهر انهما يتعارضان و يتساقطان فيصير العمل لا له ولا عليه والذي يكون أحد الطرفين فيه أغلب فيحبط منه ما يساوي الطرف الآخر وتبقى الزيادة موجبة لاثرها اللائق وهو المراد بقوله فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وتمام التحقيق فيه أن الاعمال لها تأثيرات في القلب فان خلا المؤثر عن المعارض خلا الاثر عن الضعف وان كان المؤثر مقرونا بالمعارض فان تساويا تساقطا وان كان أحدهما أغلب فلا بد أن يحصل في الزائد بمقدار الناقص فيحصل التساوي بينهما أو يحصل التساقط و يبقى القدر الزائد خاليا عن المعارض فيؤثر لا محالة أثرا ما وكما لا يضيع مثقال ذرة من الطعام والشراب والدواء عن أثر في الجسد فكذلك لا يضيع مثقال ذرة من الخير والشر عن أثر في التقرب من باب الله تعالى والتبعيد منه واذا جاء بما يقربه شبرا مع ما يبعده شبرا فقد عاد الى ما كان عليه لا له ولا عليه وان كان أحد الفعلين مما يقربه شبرين والفعل الثاني مما يبعده شبرا واحدا حصل لا محالة شبر * واحتج من زعم أن المشوب لا ثواب عليه بوجهين الاول ماروى أبو هريرة أنه عليه السلام قال لمن أشرك في عمله خذ أجرك ممن عملت له وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال ان الله تعالى يقول أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه غيري تركت فيه نصيبي لشريكي وأجيب بأن لفظ الشريك محمول على تساوي الراعيين وقد بينا أن عند التساوي يحبط كل واحد منهما بالآخر واعلم أن خاطر السكان قد يكون في صور العبادات وأنواع الخيرات وحب الكرامات وهو لا يزال مع الانسان حتى

يخلص فاذا أخلص فارقه ولا يطمع وهو بالغ فى الشكر والخير يأتى الانسان من كل طريق الامن باب الاخلاص فكن خالصا ولو كنت فى الاخلاص ماترى نفسك فى مقام الاخلاص

﴿فصل﴾ فى آداب الذكر *الذكر له آداب سابقة وآداب لاحقة وآداب مقارنة ومنها ظاهرة ومنها باطنة أما الآداب السابقة فنقول على السالك بعد التوبة وتهذيب النفس بالرياضات وتلطيف الاسرار وتهيئتها لتواسم الحضرات باعتزال الخلائق وبتخفيف العلائق وقطع كل عائق وتحصيل علم الاديان والابدان المفروض على الاعيان وتحرير المقاصد فانها أرواح مقامات القاصد بأن تكون شرعية لا عادية وعليه اختيار ذكر لحاله مناسب فيدأب على ذكره ويواظب * ومن الآداب الملبس الحلال الطاهر المطيب بالرائحة الطيبة وطهارة الباطن بأكل الحلال فان الذكر وان كان يذهب الاجزاء الناشئة من الحرام الا أنه اذا كان الباطن خاليا من الحرام أو الشبهة تكون فائدة الذكر فى تنوير القلب أكثر وأبلغ واذا كان فى الباطن حرام غسله منه ونظفه فكانت فائدته حينئذ فى التنوير أضعف ألا ترى أن الماء اذا غسلت به المتنجس أزال النجاسة ولم تكن فيه مبالغة فى التنظيف ولذلك يستحب غسله ثانية وثالثة واذا كان المحل المغسول خاليا عن النجاسة ازداد بهجة ونضارة من أول غسلة واذا نزل الذكر القلب فان كان فيه ظلمة نوره وان كان فيه نور زاده وكثره وآدابه المقارنة الاخلاص وتطييب المجلس بالرائحة الطيبة لأجل الملائكة والجن والجلوس متربعا مستقبل القبلة ان كان وحده وان كان فى جماعة فحيث انتهى به المجلس ووضع راحتيه على فخذيه وغمض عينيه مع بقاء توجهه نصب عينيه قالوا وان كان تحت نظر شيخ تخيل شيخه بين عينيه فانه رفيقه فى الطريق وهاديه وان يستمد بقلبه أول شروعه فى الذكر من همة شيخه معتقدا ان استمداده منه هو استمداده من النبى صلى الله عليه وسلم لانه نائبه وان يذكر بقوة تامة مع التعظيم وتصور لا اله الا الله من فوق

السرة ناويا بلا إله نفي ماسوى الله عن القلب وناويا بالا الله ايصالها الى القلب اللحمي الصنوبري الشكل ليتمكن الا الله في القلب ويسري بجميع الاعضاء واحضار معنى الذكر بقلبه مع كل مرة قال بعضهم لا يصح أن يكون تردد الذكر مرة بعد مرة الا بمعنى غير المعنى الاول قال وأدنى درجات الذكر انه كلما قال لا اله الا الله لا يكون في قلبه شئ غير الله الا ونفاه من قلبه ومتى التفت اليه في حال ذكره فقد أنزله منزلة الاله من نفسه قال تعالى أرأيت من اتخذ الهه هواه وقال لا تجعل مع الله إلها آخر وقال ألم أعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم وان كان الدينار والدرهم لا يعبدان بركوع ولا سجود وانما ذلك بالتفات القلب اليهما فلا تصح منه لا اله الا الله الا بنفي ما في نفسه وقلبه مما سوى الله تعالى ومن امتلأ قلبه بصور المحسوسات لو قال الف مرة قل ما يشعر قلبه بمعناها واذا فرغ القلب عن غير الله لو قال مرة واحدة أنه يجد من اللذة ما لا يستطيع اللسان وصفه قال الشيخ عبد الرحيم القنائي قلت مرة لا اله الا الله ثم لم تعد الى وكان في تيه بني اسرائيل عبد أسود كلما قال لا اله الا الله ابيض من رأسه الى قدمه وتحقيق العبد بلا اله الا الله حالة من احوال القلب لا يعبر عنها اللسان ولا يقوم بها جنان ولا اله الا الله وان كانت خلاصة الخلاصة من التوجهات فهي مفتاح حقائق القلوب وترقي السالكين الى عوالم الغيوب ومن الناس من اختار موالاة الذكر بحيث تكون الكلمتان كالكلمة الواحدة لا يقع بينهما تخلل خارجي ولا ذهني كي لا يأخذ الشيطان نصيبه فانه في مثل هذا الموضع بالمرصاد لعلمه بضعف السالك عن سلوك هذه الاودية لبعدها من عادته لا سيما ان كان قريب العهد بالسلوك قالوا وهذا أسرع فتحا للقلب وتقريبا من الرب وقال بعضهم تطويل المدة من لا اله الا الله مستحسن مندوب اليه لأن الذاكر في زمن المد يستحضر في ذهنه جميع الاضداد والانداد ثم ينفيها ويعقب ذلك بقوله لا اله الا الله فهو أقرب الى

الاخلاص لانه يكون الاقرار بالالهية وهو وان نفى بلا اله عينه فقد اثبت بالا كونة بل الانور يوضع على القلب فينوره ومنهم من قال ترك المداولى لانه رعامات فى زمان التلفظ بلا اله قبل أن يصل الى الا الله ومنهم من قال ان قصد الانتقال من الكفر الى الايمان فترك المداولى ليسرع الانتقال الى الايمان وان كان مؤمنا فالمداولى لما تقدم وآدابه اللاحقة اذا سكت باختياره يحضر مع قلبه متلقيا لوارد الذكر وهى الغيبة الحاصلة عقب الذكر وتسمى النومة أيضا فكما ان الله تعالى اجرى العادة بارسال الرياح نشرا بين يدى رحمته المطرية اجرى العادة بارسال رياح الذكر نشرا بين يدى رحمته العلية فلعله يرد عليه ما يعمر قلبه فى لحظة مالا تعمره المجاهدة والرياضة فى نحو ثلاثين سنة وهذه الآداب تلزم الذاكر الواعى المختار أما المسلوب الاختيار فهو مع ما يرد عليه من الاذكار وما يرد عليه من جملة الاسرار فقد تجرى على لسانه الله الله أو هو هو هو أو لا لا لا لا أو ا ا ا ا ا أواه اواه أو صوت بغير حرف أو تخبط فأدبه التسليم للوارد وبعد انقضاء الوارد يكون ساكنا ساكتا وهذه الآداب لمن يحتاج الى ذكر اللسان أما الذاكر بالقلب فلا يحتاج الى هذه الآداب

﴿ باب فوائد الذكر على الاجمال ﴾

من رام فوائده فليتبع النصوص الواردة بفوائده وليست بالقليل وليس الى حصرها من سبيل وذكر الائمة له فوائد جمة فلنذكر الحاضر على الخاطر فنقول الذكر يطرد الشيطان ويمنعه ويكسره ويرضى الرحمن ويسخط الشيطان ويزيل الهم عن القلب والغم ويجلب الفرح والسرور ويذهب الترح والشرور ويقوى القلب والبدن ويصلح السر والعلن ويبهج القلب والوجه وينوره ويجلب الرزق ويسيره ويكسو الذاكر مهابة ويلهم به فى كل أمر صوابه ودوامه للمحبة سبب من الاسباب وهو لها من أعظم الابواب ويورث المراقبة الموصلة لمقام الاحسان الذى فيه يعبد الله العبد كأنه بالعيان ويورث الانابة فمن أكثر

الرجوع بذكره أورثه الرجوع اليه فى سائر أمره و يورث القرب من الرب و يفتح باب المعرفة فى القلب و يورث العبد اجلالا وهيبة لربه والغافل حجاب الهيبة رقيق على قلبه و يورث ذكر الله للعبد وهو أعز شرف وأعلى مجد و به يحيا قلب البشر كما يحيا الزرع بوابل المطر وهو قوت الارواح كما أن الغذاء قوت الاشباح وجلاء القلب من صداه الذى هو الغفلة واتباع هواه وهو للفكر كالسراج الهادى فى الظلمة الى المنهاج و يحط الذنوب والخطيئات ان الحسنات يذهبن السيئات و يزيل الاستيحاش الحاصل بين الرب و بين العبد الغافل وما يذكره العبد من نحو تسبيح وتكبير وتهليل وتمجيد يذكرن بصاحبهن حول العرش المجيد والعبادات كلها فى يوم الحشر تزول عن العبد الا ذكر الله والتوحيد والحمد ومن تعرف الى الله فى الرخاء يذكره تقرب اليه فى الشدة بيره وفى الاثر ان العبد المطيع الذاكر لله تعالى اذا أصابته شدة أو سأل الله حاجته قالت الملائكة يارب صوت معروف من عبد معروف والغافل المعرض عن الله اذا دعاه أو سأله قالت الملائكة يارب صوت منكر من عبد منكر ولا عمل من الاعمال أنجى منه من عذاب الله ذى الجلال وهو للعبد سبب لنزول السكينة عليه وحفوف الملائكة به ونزولها اليه وغشيان الرحمة وما أجل ذلك من نعمة وهو للسان شاغل عن الغيبة والكذب وكل باطل والذاكر لا يشقى به جليسه و يسعد به أنيسه ومجلسه لا يكون عليه حسرة يوم القيامة ولا يكون عليه ترة ولا ندامة والذكر مع البكاء والعويل سبب لنيل ظل العرش الظليل يوم الجزاء الاكبر والوقوف الطويل ومن كان ذكر الله له عند المسئلة شاغل أعطى أفضل ما اعطى سائل و يتيسر على العبد فى عموم الاوقات وأكثر الحالات وحركة الذكر على اللسان أيسر حركة على الانسان وهو غراس الجنان والجنة طيبة التربة عذبة الماء وانها قيعان وان غراسها سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر كما جاء فى الاحاديث الحسان وهو سبب للعتق من النيران والامان من النسيان فى الدنيا